محمد طه الحاجري

تحقيق التراث: تاريخاً ومنهجاً

يتمثل تراثنا الادبي والفكري في كل ماصدر من الامة العربية معبرا ، بالكتابة ، عن وجوه نشاطها المختلفة ، ممثلا بذلك صور حياتها الظاهرة والباطنة ، منذ اتجه المسلمون الى التدوين ، يسجلون به ما يصدر عنهم ، وما يحتفظون به في صدورهم ، او يتناقلونه بالرواية عن اسلافهم ، اى منذ انتقل العرب من الجاهلية الى الاسلام ، ومن البداوة الى الحضارة . فكان جمع القرآن وكتابته في المصحف أول ما اتجهوا من ذلك اليه ، وحرصوا عليه ، حتى لايعرض له شيء من آثار ما يصيب الذاكرة ، او ما يتعرض له القراء من القتل في وقائع الفتوح وميادين القتال . ثم لم يلبث التدوين ان اصبح نزعة غالبة تسيطر على الحياة العربية في شتى وجوهها ، ولم تلبث هذه النزعة ان غلبت شعور التحرج الذي كان يداخل ائمة المسلمين في تدوين الحديث ، حذرا من ان تصير الامور الى ما صارت اليه عند أهل الكتاب ، حين دونوا مع كتاب الله كتبا لانبيائهم وعلمائهم ، فاكبوا عليها وتركوا كتاب الله ، كما جاء في بعض الآثار ، فلم يكد القرن الاول يشرف على النهاية حتى وجدنا عمر بن عبد العزيز يبعث الى ابي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم كتابا يرغب فيه ان ينظر ما كان من حديث رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، او سنته ، فيكتبه ، خوفا من دروس العلم وذهاب العلماء .

كما اخذ التدوين سبيله الى البيئات العلمية والادبية وفرض نفسه عليها ، حتى لنجد شاعرا اميا بدويا مثل ذى الرمة يؤثر ان يكتب شعره فيقول لعيسى بن عمر الثقفي :

« اكتب شعري ، فالكتاب احب الي من الحفظ ، لان الاعرابي ينسى الكلمة ، وقد سهر في طلبها ليلته ، فيضع في موضعها كلمة دونها ، ثم ينشدها الناس . والكتاب لا ينسى ولا يبدل كلاما بكلام » . كما يحكي الجاحظ ذلك في الفصل الذي قدم به لكتابه (الحيوان) .

ومن هذا القبيل ما حكاه ابو الفرج في اغانيه عن مولى لبني كليب بن يربوع قوم جرير الشاعر ، كان شديد التعلق به ، والرغبة في حفظ شعره . وكان كاكثر الموالي الا ذلك يكتب ، على العكس من جرير واضرابه ، انه جاءه ذات ليلة ، فانبأه بما كان من هجاء الراعي النميري له ، وطلب منه ان يعد له شواء وشرابا ، ونبيذا محفا . فاذا تناول عشاءه ، وشرب من النبيذ اقداحا اخذ يملي عليه ما قاله يرد به على هجاء الراعي له .

لقد احس هؤلاء الشعراء الاميون الذين كان يانف احدهم من ان يتعلم الكتابة ، او يقال عنه انه يعرف الخط ، بخطر كتابة اشعارهم ، وعظم جدواها في حفظ آثارهم .

اما علماء العربية الذين كانوا يتلقون عن الاعراب مادة علمهم من شعر وخبر فلم يعد التدوين بالقياس اليهم نزعة عارضة ، بل اصبح ضرورة ملحة . وقد كانت الصحف التي كتبها ابو عمرو بن العلاء عن الاعراب تملأ بيتا له الى قريب من السقف ، كما يقول ابن خلكان في حديثه عنه . ولعل ذلك او قريبا منه كان شأن سائر علماء العربية المعاصرين له .

ثم كان من صور الاستجابة لهذه النزعة الغالبة والضرورة الملحة ان نشأت **صناعة الوراقة** وما لبثت ان عظم شأنها وكثر الوراقون ، حتى كان لكل عالم وراقه او وراقوه ، ينزلون منه ما كان ينزل الرواية من الشاعر ، فهم يدونون مجالسه ، ويذيعون كتبه ، حتى لقد بلغ من عظم شأنها وبسطة سلطانها ان غيرت كثيرا من القيم والاعراف السائدة في الاوساط العلمية . ومن ذلك انها استطاعت ان تصرف اليها بعض طلاب العلم عن الجلوس الى الشيوخ والتلقي عنهم اكتفاء بما تقدمه اليهم ، وما يصيبون فيها من حاجتهم . حتى لقد استطاع رجل **كعمرو بن بحر** ، في ابان نشأته وتكوينه العقلي ، ان يوفق بين ضرورات حياته المادية التي تستغرق نهاره ، ومقتضيات طموحه المعنوي وتطلعه الادبي ، وذلك بالتماس الوان المعرفة فيها ، فكان ــ على ما يحكي عنه بعض مترجمي حياته ــ يبيت في دكاكين الوراقين ، يعكف عليها .

ومن هذه المنزلة التي صارت اليها الكتب يتحدث غير مرة ، مفضلا اياها على الشيوخ والمعلمين وكانما هو فيما يتحدث به من ذلك منها يرجع النظر الى اول امره وصدر حياته وما اتاحته له ، وما حركت من همته واثارت من نوازعه . **فيقول مرة :**

« والكتاب قد يفضل صاحبه ويتقدم مؤلفه ، ويرجح قلمه على لسانه ، بأمور ، فيها : ان الكتاب يقرأ بكل مكان ، ويظهر ما فيه على كل لسان ، ويوجد مع كل زمان ، على تفاوت ما بين الاعصار ،

وتباعد ما بين الامصار . وذلك امر يستحيل فى مواضع الكتاب ، والمنازع فى المسألة والجواب . ومناقلة اللسان وهدايته لا تجوزان مجلس صاحبه ومبلغ صوته . وقد يذهب الحكيم وتبقى كتبه ، ويذهب العقل ويبقى أثره . »

ويقول مرة اخرى :

« وليس يجد الانسان فى كل حين انسانا يدربه، ومقوما يثقفه . والصبر على افهام الريض شديد ، وصبر النفس عن مغالبة العالم اشد منه والمتعلم يجد فى كل مكان الكتاب عتيدا ، وبما يحتاج اليه قائما . وما أكثر من فرط فى التعليم ايام خمول ذكره ، وايام حداثة سنه . ولولا جياد الكتب وحسنها ومبينها ومختصرها لما تحركت همم هؤلاء الى طلب العلم ، ونزعت الى حب الادب ، وانفت من حال الجهل، وان تكون فى غمار الحشو، ولدخل على هؤلاء من الجهل والمضرة وسوء الحال ما عسى الا يمكن الاخبار عن قليله الا بالكلام الكثير . »

ثم لا يقف الامر ، فيما يحكي **الجاحظ** عن مآثر الكتب ، عند هذا الحد من تحريك النوازع ، وحفز الهمم ، وارضاء الحاجات العقلية ، بل انها تمضي الى ما وراء ذلك من شق الطريق الى بعض صور المجد الادبي والمادي التي لا تتيحها مجالسة الشيوخ والتلقي عنهم ، على الصورة التي يحكيها الجاحظ بقوله :

« وقد نجد الرجل يطلب الآثار وتأويل القرآن ، ويجالس الفقهاء ، خمسين عاما ، وهو لا يعد فقيها ولا يجعل قاضيا . فما هو الا ان ينظر فى كتب ابي حنيفة واصحاب ابي حنيفة ، ويحفظ كتب الشروط ، فى مقدار سنة او سنتين ، حتى تمر ببابه فتظن انه من بعض العمال ، وبالحرى الا يمر عليه من الايام الا اليسير ، حتى يصير حاكما على مصر من الامصار ، او بلد من البلدان . »

وكأنما كان الجاحظ فى حديثه هذا يتمثل الامر فى البصرة ، ولم يكن لفقه ابي حنيفة مكان فيها . وفقه ابي حنيفة ، او بعبارة أخرى ، فقه الكوفة ، كان هو الذى يرشح صاحبه لمناصب القضاء وما اليها، منذ قامت الدولة العباسية وثيقة الصلة بالكوفة ورجالها ، معرضة عن البصرة ، متهمة لاهلها .

كما لم يقف الامر بصناعة الكتب عند هذا الافق ، ولم يقتصر على ما يصدر عن علماء الدين ورجال الفكر واهل الادب . فقد تجاوزت الكتب هذا الشأو ، وتناولت جوانب الحياة المختلفة : علمية وعملية . كما يدل على ذلك قول الجاحظ : « وكل شيء فى العالم من الصناعات والارفاق والآلات فهي موجودات فى هذه الكتاب » . وقد فصله وبين مجمله فى قوله :

« وحسبك ما في أيدى الناس من كتب الحساب ، والطب ، والمنطق ، والهندسة ، ومعرفة اللحون ، والفلاحة ، والتجارة ، وابواب الاصباغ والعطر ، والاطعمة ، والآلات . وهم أتوكم بالحكمة وبالمنفعة التي فى الحمامات ، وفى الاصطرلابات ، وآلات معرفة الساعات ، وصنعة الزجاج والفسيفساء ، والاسرنج والزنجفور ، واللازورد، والاشربة ، والانبجات ، والايارجات . ولهم الميناء

والنشادر ، والشبه ، وتعليق الحيطان والاساطين ، ورد ما مال منها الى التقويم ، ولهم حسب الزردج ، واستخراج النشاشيج ، وتعليق الخيش ، واتخاذ الجمازات ، وعمل الحراقات ، واستخراج شراب الداذي ، وعمل الدبابات . »

وبهذا نرى الى اي حد بلغ شأن صناعة الكتب في القرن الثالث للهجرة ، والى اى مدى بلغ تغلغلها في ميادين الحياة المختلفة ، وفي وجوه النشاط الانساني عامة ، وفي شتى صور الحضارة ، دون أن نقف من ذلك عند الحاضر ، بل نتناول معه الغابر ، على النحو الذي يمكن أن نتمثله في هذه الجملة التي اوردها من كلام الجاحظ ، وفي مثل قوله أيضا :

« ولولا ما أودعت لنا الاوائل في كتبها ، وخلدت من عجيب حكمتها ، ودونت من انواع سيرها حتى شاهدنا بها ما غاب عنا وفتحنا بها كل مستغلق كان علينا ، فجمعنا الى قليلنا كثيرهم ، وادركنا مالم نكن ندركه الا بهم ، لقد خس حظنا من الحكمة ، وضعف سبيلنا الى المعرفة . »

● ● ●

واذا كان ذلك هو شأن ماسطر من الامة العربية مكتوبا ، وكان ذلك مبلغ الآماد التي استولى الكتاب العربي عليها ، في القرن الثالث للهجرة ، وفي اقليم واحد من اقاليم العالم الاسلامي ، فما عسى ان يكون مبلغ تراث هذه الامة الادبي والعقلي والحضاري فيما يلي ذلك من القرن ، وفي سائر اقاليم هذا العالم من مشرقه في الهند وجزر المحيط الهندي الى مغربه في المغرب الاقصى والاندلس . بل وفي بعض اقاليم العالم المسيحي التي صار الكتاب العربي فيها عماد الدرس واحد اصول المعرفة !

لقد كان ـ ولابد ـ امرا بالغ الضخامة ، كثير التنوع ، لا مبالغة في القول بانه يفوت الحصر ، وكان يتمثل فيما ضمته خزائن الكتب العامة التي كانت الدول الاسلامية حريصة على انشائها . وكانت تتنافس فيما بينها في مبلغ ما تقتنيه منها من عيون الكتب التي تجود بها قرائح العلماء والادباء ، ويفتن الوراقون والناسخون في كتابتها وتحريرها والتأنق فيها هنا وهناك ، في العراق ومصر وافريقية والاندلس ، وفي امارات الشرق والشام والمغرب ، وفي خزائن الكتب الخاصة التي اصبحت مظهرا من مظاهر الترف العقلي والحضاري ، يحرص الامراء والسراة والعلماء عليه وعلى المنافسة فيه ، وفي هذه المكتبات التي كانت تقام هنا وهناك تقربا الى الله ، في المساجد والربط والمدارس والزوايا ، الى غير ذلك مما تتناثر الاخبار عنه ، وليس بنا في هذا البحث أن نتتبعه .

وقد منيت هذه الثروة العقلية الضخمة بما بددها ودمر الكثير منها ، في خلال الفتن السياسية والطائفية والمذهبية التي كانت تضطرب بها ، في كثير من الاوقات ، بغداد والمدن الاسلامية ، وفي الحروب الصليبية التي استمرت خطوبها قرنين من الزمان وفي غزوات التتار التي كانت تأتي على الاخضر واليابس ، ثم في غمرة الجهالة التي اطبقت على العالم الاسلامي في القرون المتأخرة ، والتي افقدت عامة الناس احساسهم بهذا التراث وتقديرهم له . فعدت عليه من خلال ذلك العوادي

المختلفة . وحسبنا لكي ندرك ، بصورة ما ، مبلغ ما أصاب التراث أن نقارن بين ما يذكر من كتب في تراجم العلماء والادباء ، أو في كتب الفهارس كفهرست ابن النديم ، وما يمكن أن نجده منها الآن . فما أكثر العلماء الذين لم يبق لنا شيء مما ألفوه ، وما أكثر من لم يبق لنا مما ترك غير نسبة ضئيلة .

ومع كل هذا ، فان ما بقي لنا من هذا التراث ، أو ما أتيحت لنا معرفته منه ، يعد مفخرة للأمة العربية ، اذ يعبر عن مبلغ نشاطها العقلي والادبي ، واسهامها أعظم اسهام في بناء الحضارة الانسانية . وفيه تتمثل ملامح شخصيتها . ولا ريب أنه على قدر معرفتنا لهذه الشخصية وتبيننا لخطوطها العريضة والدقيقة يكون ايماننا بها ، وهو ما تقتضيه حركة القومية العربية التي تتجه الأمة العربية اليها ، وتسعى حثيثا دائبا في استكمال أدواتها واصطناع وسائلها ، لأنها المعتصم الوثيق الذي يعتصم به في معترك الحياة . ومن هنا يكون الحرص على هذا التراث ، تنقيبا عنه ، والتماسا له ، وجمعا لمتفرقه ، وتحقيقا لنصوصه ، وتجلية لغوامضه . الى جانب الدافع الانساني ، باعتبار هذا التراث جزءا لا ينفصل من تراث الانسانية عامة ، ووجها من وجوهه .

واذ كان هذا التراث مفرقا في مكتبات العالم ، مشرقه ومغربه ، اسلامه ومسيحيه ، في كبار مدنه وصغارها ، فان من اول ما يجب علينا القيام به ان نحصر هذه المكتبات ، عامة وخاصة ، وان نمضي في الطريق الذي بدأه معهد المخطوطات العربية ، منذ ظهرت مجلته منذ اكثر من عشرين عاما ، بخطى حثيثة ثابتة ، وقوى متكاتفة متضامنة ، طبقا لخطة مدروسة واضحة ، فنجمع ما وجد من فهارسها ، ومنها ما خص المخطوطات العربية بفهارس على حدة . وكثير منها لم يفهرس بعد ، أو لم تنشر فهارسه ، فنعمل على فهرسته ، ونتخذ لذلك الوسائل المختلفة . وذلك حتى يتسنى لنا أن نؤلف موسوعة بيبليوجرافية شاملة لهذا التراث ، وخاصة مخطوطاته ، تعرضه عرضا علميا ، تتبين فيه نسخ كل كتاب ، موصوفة بالصفات المعتبرة في تحقيق النصوص . أما ما سبق نشره منها فيبين تاريخ النشر ومكانه ومحققه ، وفي أي صورة كان : محققا لشروط النشر العلمي أو مغفلا لها ، أو مقصرا في رعايتها ، كليا كان ذلك النشر أو جزئيا ، مستقلا أو مضمنا في مجلة من المجلات أو دورية من الدوريات ، الى غير ذلك .

كما تعنى هذه البيبليوجرافيا زيادة على ذلك ، بما قد يكون من دراسات كتبت عن هذا الاثر أو ذاك ، تعريفا به ، أو نقدا له ، أو تحليلا لمضمونه .

وذلك ، ولا ريب ، عمل ضخم ، يحتاج الى تضافر الجهود وتضامن القوى ، والى التوفر عليه والتفرغ له ، والى التنظيم الدقيق والتخطيط المحكم ، والى روح الدؤوب . ولكنه — فيما أرى — عمل ضروري ، يمكن أن يؤدي الينا صورة متكاملة مشرقة من ذلك التراث ، كما يجعل تحقيق تراثنا يمضي على هدي وبصيرة أتم وأوفر ، ويخطو أكثر سدادا .

ومهما يكن تقدير العلماء لما صنعه من ذلك بروكلمان اولا ، ثم فؤاد سوزكين ثانيا ، فان الاحاطة بالتراث العربي ، وهو كما راينا ، امر يفوق طاقة الفرد ، مهما يكن من اولي العزم .

على ان هذا لا يعني ان وجود هذه الموسوعة البيبليوجرافية التي يحتاج انجازها عددا غير قليل من السنين اذا صح العزم شرط لتحقيق التراث ، فانما هي اداة لتيسيره والتمكين لادائه على اكمل وجه ، وهو ماض في سبيله لا يتوقف في حدود ما يتاح له .

•••

وتحقيق التراث يتضمن امرين : تحقيق نسبة النص الى من هو منسوب اليه ، والثاني تحقيق النص في ذاته ، بحيث يكون ـ قدر الامكان ـ صورة امينة دقيقة له ، كما كتبه مؤلفه .

اما الاول فيدعو اليه ان عالم الكتب اصابه ما اصاب من قبل عالم الشعر من الوضع والتزوير . فكما نشأت في اوائل القرن الثاني ظاهرة وضع الشعر ونحله للشعراء المتقدمين ، حين اصبح الشعر بابا من ابواب الفخر ، ووسيلة من وسائل المجد القبلي ، بما ينوه به من مآثر القبيلة ويشيد بها ، وحين أصبح سلعة يغالي الرواة بها بقدر ما يحرص ملتمسوها من الامراء والسراة والعلماء على الظفر بها ، فصارت رواية الشعر بذلك تجارة ، فاذا اعوزت تلك السلعة فلا بأس من الاحتيال لذلك بالصناعة والتزييف، كما تزيف الآثار وتروج . كذلك كان الامر في الكتب .

وكان من اسباب ذلك صناعة الوراقة التي آل الامر فيها الى أن بعض من كان يصطنعها كان لا يرى فيها الا انها مهنة من مهن العيش وباب من ابواب الاتجار ، فكان لا يحفل الا بما يمكن ان تتيحه له من كسب ، وما تحققه له من عائد . فكان يلجأ احيانا الى أن ينحل بعض مشاهير الكتاب والعلماء ما ليس لهم ، ومن ذلك جاءت بعض الكتب المنسوبة الى بعض كبار العلماء مثيرة للشك في نسبتها اليهم . ككتاب **فتوح الشام** المنسوب الى الواقدي، وكتاب **المحاسن والاضداد** الذي جمع فيه الوراق اشياء من كلام الجاحظ التقطها من هنا وهنا ، وخلط بها غيرها ، ثم وضع على هذا الخليط هذا العنوان ونسبه لجاحظ .

وكثير من العلماء يشك في نسبة **كتاب التاج** الذي استخرجه وعني بتحقيقه احمد زكي باشا الى الجاحظ ، وقد كتب له مقدمة مستفيضة بذل فيها جهدا غير يسير لتحقيق هذه النسبة .

ومن ذلك الشك في نسبة **كتاب العين** للخليل بن احمد . ويبدو أن هذا الشك قد نشب في قلوب العلماء منذ وقت مبكر ، لاسباب ظاهرة ، حتى اذا جاء الازهري **صاحب التهذيب** في القرن الرابع كان مثار شكه النظر في الكتاب ، وورود اشياء فيه لا يمكن أن تصح عن الخليل ، كالذي وقع فيه من تفسير (العمر) بانه نوع من النخيل سحوق طويل ، وليس كذلك فيما تعرف ، فهو

نخل السكر سحوقا أو غير سحوق . ولا يمكن ـ فيما يرى ـ أن يصح ذلك عن الخليل ، فقد كان ـ كما هو نص عبارة الازهري ـ «من أعلم الناس بالنخيل وألوانه . ولو كان الكتاب من تأليفه ما فسر العمر هذا التفسير . وقد أكلت أنا رطب العمر ورطب التعضوض وخرفتهما من صغار النخل وعيدانها وجبارها . ولولا المشاهدة لكنت أحد المغترين بالليث وخليله ، وهو لسانه » (١)

ومن هذا القبيل أيضا نسبة **كتاب الامامة والسياسة** لابن قتيبة . وقد نظر المستشرق دوزى في هذه النسبة حين أثارت ريبته ، فتناولها بالبحث ، معتمدا في بحثه على النظر في الكتاب نفسه ، غير مكتف بأن أحدا ممن ترجموا لابن قتيبة لم يذكروا له كتابا بهذا الاسم . وقد انتهى به البحث الى نفي نسبة الكتاب اليه .

وهذا النقد الداخلي ، أو هذا النظر في الأثر نفسه من ناحية محتواه ومن ناحية أسلوبه عن الاصل في توثيقه . ومن الكتب ما يحتاج في ذلك الى اطالة نظر وفرط تأمل وكثرة مراجعة ، ومنها ما يبدو زيف نسبته لأول وهلة ، كالكتاب الذي ينسب للجاحظ باسم (تنبيه الملوك والمكايد) . وهو من مخطوطات مكتبة كوبريلي بالآستانة ، ومصورات دار الكتب المصرية عن تلك المكتبة .

وهذا **التوثيق** هو أول ما ينبغي للمحقق أن يعنى به ، وخاصة اذا كان هناك ما يثير الريبة في أمره . ولا ريب أن من أول ما يعينه عليه ، ويسدده في سبيل الحقيقة ، أن يكون وثيق الصلة بمن ينسب الأثر اليه ، وبموضوع الأثر نفسه ، محيطا بشتى ملابساته ومختلف جهاته ، واسع المعرفة بعصره ، دقيق الملاحظة ، سريع اللمح .

ويحضرنا في هذه المناسبة ما ذكره شمس الدين السخاوي ، صاحب **الضوء اللامع** أن بعض اليهود أظهر كتابا وادعى أنه كتاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، باسقاط الجزية عن أهل خيبر . وفيه شهادة الصحابة ، رضي الله عنهم . وذكر أن خط علي ، رضي الله عنه ، فيه . وأنه حمل الكتاب في سنة سبع وأربعين وأربعمائة الى رئيس الرؤساء ، أبي القاسم علي ، وزير القائم . فعرضه على الحافظ الحجة أبي بكر الخطيب . فتأمله ، ثم قال : هذا مزور . فقيل له : فمن أين لك هذا ؟ قال : فيه شهادة معاوية . وهو انما أسلم عام الفتح ، وفتح خيبر كان في سنة سبع ، وفيه شهادة سعد بن معاذ ، وهو مات يوم بني قريظة قبل فتح خيبر بسنتين . (٢)

فقد كانت احاطة أبي بكر الخطيب بعصر النبوة ، واستحضاره لاحداثه مرتبطة بتواريخها مما أتاح له أن يكشف الغطاء عن هذا التزوير ، كما أعانت دوزى معارفه التاريخية عامة ، واستغراقه في تاريخ الاندلس خاصة ، على أن يقضي في أمر كتاب الامامة والسياسة ، قضاء علميا ، بنفي نسبته الشائعة الى ابن قتيبة .

● ● ●

---

(١) انظر : لسان العرب ٦ : ٢٨٥ مادة (ع م ر) . ط بولاق ، القاهرة .

(٢) الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ١٠ ـ مطبعة الترقي ، ١٣٤٩ هـ

اما تحقيق نص الكتاب تحقيقا يهدف الى ان يجيء على الصورة التي اداه بها مؤلفه ، بريئا مما طرا عليه من تحريف او داخله من تغيير او غشيه من اضطراب ، فامر لا شك في ضرورته ، اداء لحق الامانة العلمية ، ومن حق تراثنا ان نجلوه بوجهه الحق الاصيل الصادق .

وقد مني هذا التراث بالتعرض لما نكر كثيرا منه ، من تحريف وتصحيف وتشويه وخلط ، وسقط واقحام .

واذا كان ذلك يرجع في حالات كثيرة الى ما يمتحن به الكتاب في مرحلة نسخه ، من جهل الناسخ اذ يسيء القراءة ، او تعالمه فيبدل ويغير الى ما يخيل اليه انه الاصح او الاوفق ، او ما الى ذلك . فان مرجع الامر اولا الى طبيعة الخط عامة ، والخط العربي خاصة . ذلك ان الخط في عمومه ليس الا رموزا مقاربة تدل على الكلام الذي يريد صاحبه اداءه بالكتابة . وطبيعة الرمز القصور بذاته عن تعيين المراد تعيينا لا خلاف عليه . واما الخط العربي خاصة فانه لتشابه بعض حروفه اشد قصورا ، كما يقول ابو الريحان البيروني في مقدمة كتابه (الصيدنة) :

« .. ولكن للكتابة العربية آفة عظيمة ، وهي تشابه صور الحروف المزدوجة فيها ، واضطرارها في التمايز الى نقط الاعجام ، وعلامات الاعراب ، التي اذا تركت استبهم المفهوم منها » .

ومن هذا كان الحرص على تلقي العلم عن الشيوخ لا عن الكتب استقلالا ، حتى لا يقع المتعلم في الاخطاء التي تنشأ عن التباس الخط وتشابه الحروف ، وقد سموا مثل ذلك الخطا بالتصحيف ، ونبذوا من يأخذ العلم عن الصحف بأنه صحفي ، وازدروه ونفروا منه ، واطلقوا هذه العبارة التي عدت من ادب التلقي في ذلك الوقت : « لا تأخذ القرآن من مصحفي ، ولا العلم عن صحفي » .

وعن ذلك كانت ــ عناية العلماء بالكلام عن التصحيف : ينبهون على المواضع التي وقع فيها . وقد خصه بعضهم بالتأليف فيه ، كما صنع حمزة الاصفهاني من اهل القرن الرابع ، اذ وضع كتابه : « التنبيه على حدوث التصحيف » ، وابو احمد العسكري ، خال ابي هلال ، من اهل ذلك القرن ايضا في كتابه : « **شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف** » .

واخذ رجال اللغة يتعقبون الالفاظ التي اصابها التصحيف ، يردونها الى اصلها ، كما سمعوها من الاعراب او كما تلقوها عن الشيوخ . ومن الفريق الاول ابو منصور الازهري ، الذي اشرنا اليه قبلا في الكلام عما عرض لكتاب العين من الشك في نسبته الى الخليل بن احمد وقد اتيح له ان يعيش في البادية ويخالط الاعراب ردحا من الزمن ، حين وقع في اسر القرامطة ، فكان القوم الذين وقع في سهمهم « عربا نشأوا بالبادية ، يتتبعون مساقط الغيث ايام النجعة » على ما وصفهم به في مقدمة كتابه (تهذيب اللغة) . وقد تصدى فيه لمثل هذه الالفاظ ، وخاصة ما وقع منها فيما يذكره الليث بن المظفر ، مما يراه منقولا اليه من صحف سقيمة وربما قيه . ومن نقلها لم يعرف العربية ، فصحف وغير فاكثر ، كما جاء منقولا عنه في مادة (ح ض ب) من لسان العرب .

وواجهت هذه الآفة رجال الحديث ، بعد أن سيطرت صناعة الوراقة على روايته ، فاذا باعلام المحدثين ، رواة الحديث ورجال سنده ، تخضع لذلك اللبس ، وهم الاساس الذى ينبني عليه نقد الحديث والحكم عليه وبيان مرتبته . فكان لا بد لهم من معالجة هذه الآفة ، واتخاذ ما يجنبهم آثارها ، فكان أن نشأ عندهم نوع من الدرس وباب من أبواب التصنيف سموه (المؤتلف والمختلف) ، خصوه بما تتفق من أسماء الرواة صورته ، وتفترق في اللفظ صيغته ، اما من ناحية الضبط ، واما من ناحية الحروف المشتبهة ، مع التعريف بكل اسم من هذه الاسماء .

ذلك هو الاصل فيما تعرضت له نصوص الكتاب العربي من تحريف ومخالفة للاصل كما اداه مؤلفه ، الى جانب ما اشرنا اليه قبلا من جهل الناسخين او حذلقتهم .

وكلما تداولت الكتاب أيدي النساخ اتسعت مسافة الخلف بينه وبين ذلك الاصل ، الا ان يكون ناسخه قد قراه على مؤلفه واجازه ، وان يكون من يستنسخونه من اصحاب الضمير العلمي اليقظ ، الذين لا يتبعون ما تمليه عليهم خواطرهم ، وانما يقفون عند حدود ما ينسخون ، الى جانب العلم بموضوعه ، والالفة للغته وأسلوب مؤلفه . وقبل هذا كله في الثقة ان تكون النسخة التي بلغتنا نسخة المؤلف التى كتبها بيده ، او قرئت عليه فاجازها . وهذه حالات معدودة . اما جمهرة التراث فقد يصدق عليها ما قاله الجاحظ في سياق حديثه من الترجمة ، والتشكيك في صحة ادائها ، وصحة ما بلغنا منها ، اذ يقول :

« . . . ثم نصير الى ما يعرض من الآفات لاصناف الناسخين . وذلك ان نسخته لا يعدمها الخطأ ، ثم ينسخ له من تلك النسخة من يزيده من الخطأ الذى يجده في النسخة ثم لا ينقص منه ، ثم يعارض بذلك من يترك ذلك المقدار من الخطأ على حاله ، اذ كان ليس من طاقته اصلاح السقط الذى لا يجده في نسخته . . . ثم يصير هذا الكتاب بعد ذلك نسخة لانسان آخر ، فيسير فيه الوراق الثاني سيرة الوراق الاول . ولا يزال الكتاب تتداوله الايدى الجانية والاعراض المفسدة ، حتى يصير غلطا صرفا وكذبا مصمتا . »

ومن هنا تتبين ضرورة تحقيق النص بالمعنى الذى قدمناه ، واتخاذ الاسباب المختلفة لهذا التحقيق .

ومن هذه الاسباب ما يرجع الى المحقق ، والصفات التي ينبغي ان تتوفر فيه ، ومنها ما يرجع الى موضوع التحقيق ، وهو النص .

فاما المحقق فينبغي ــ الى جانب كونه من اصحاب الضمير العلمي المتحرج ــ ان يكون عالما بموضوع النص الذى يحققه ، عارفا بالاساليب المتبعة في معالجة ذلك الموضوع ، والاسلوب الغالب على العصر الذى ينتمي اليه ذلك النص ، من ناحية صياغة الجملة ، والمفردات الشائعة ، والاخطاء الغالبة ، متمرسا بقراءة الخطوط المختلفة ، مشرقية ومغربية ، أو على الاقل خطوط نسخ النص التي بين يديه .

واما ما يتعلق بالنص فاول ذلك تقصي مخطوطاته في المكتبات المختلفة ، واستحضارها او استحضار صورها ، ودراستها ، ومعارضة بعضها ببعض ، ومحاولة التعرف بذلك على عهد نسخ كل منها، بملاحظة وطريقة الخط ونوع الورق وما الى ذلك ، اذا لم تكن تواريخها مثبتة عليها ، ثم التعرف ـ قدر الامكان ـ على الخصائص الموضوعية لكل منها ، ومحاولة التعرف كذلك الى ما قد يكون من صلات نسب بينها ، فربما اتاح ذلك للمحقق ما يبرر اتخاذ احداها اصلا ، ان لم يكن بينها ما يوجب ذلك لها ، كأن تكون نسخة المؤلف او نسخة وثيقة الصلة بها . ومن هذه الدراسة محاولة استخلاص شيء من ملامح ناسخيها العقلية ، كأن يكون الناسخ جاهلا أو مثقفا او عالما ـ وقد يكتفي الناسخ الجاهل او ضعيف الثقافة برسم الحروف على ما خليت اليه ، وفي الصورة التي مثلت امامه ، دون أن يدرك مدلولها ، وقد يكون متسامحا فلا يعبأ بأن يتجاوز ما غمض عليه ويغفله ، واما الناسخ المثقف فقد يكون امينا في تأدية ما ينسخه ، وقد يكون رجلا متحذلقا تغلبه حذلقته على امره ، فلا يرى بأسا في أن يقحم نفسه على النص ، ويستبيح لنفسه ان يضع كلمة مكان كلمة يرى انها احق بمكانها منها ، الى غير ذلك من صور التعرف في النص والتحكم فيه ، مما قد يجعله اكثر جناية عليه ، واشد صدا عن كلام المؤلف ، من الناسخ الجاهل .

وبهذه الملاحظة الدائبة اليقظة يستطيع المحقق ، وهو يقارن النص في مخطوطاته المختلفة ، ان يفترض ما هو من صنيع هذا الناسخ او ذاك ، لانه اشبه به ، اذا استطاع ان يتبين الطابع الغالب عليه ، الى جانب ما تؤديه اليه معرفته لاسلوب المؤلف وطريقة تفكيره وعاداته الكتابية وما الى ذلك مما أشرنا اليه منذ قليل . فذلك هو الاصل في ترجيح قراءة على اخرى . وانما تفضل القراءة نظيرتها بان اشبه بأسلوب المؤلف وطريقة تعبيره ، لا ان تكون افضل في نظر القارىء ، او اصح لغة وصياغة .

والى جانب استقصاء مخطوطات النص ومعارضة بعضها ببعض ودراستها يحسن أن يستأنس ـ ما امكن ـ بما يمكن ان يسمى **بمصادر التحقيق غير المباشرة** ، ونعني بها النصوص التي تنتمي الى الكتاب موضوع التحقيق ، والتي وردت ، منسوبة اليه او غير منسوبة ، في كتب اخرى .

ومن الادوات التي يحسن الاستعانة بها في تحقيق النصوص المنقولة عن لغة اخرى ، او التي لها ترجمة قديمة ، هذه الاصول المترجم عنها ، او التراجم التي وضعت بازائها .

ومن ذلك ما صنعه الدكتور طه حسين في تحقيق نص المعاهدة التي عقدت بين الملك الاشرف خليل بن قلاوون الصالحي ، احد ملوك مصر ، وملك ارجون ، سنة ٦٩٢ . وهو النص الذي اورده القلقشندي في الجزء الرابع عشر من كتابه صبح الاعشى ، اذ لجأ في ذلك التحقيق الى الترجمة الاسبانية التي وضعت بازاء النص العربي ، واستطاع بذلك ان يحرره في الصورة التي تقدم بها الى مؤتمر العلوم التاريخية الذي انعقد في بروكسل سنة ١٩٢٣ .

ويمكن ان يذكر من هذا القبيل ما أتيح لي ،فيما حاولته من تخريج بعض النصوص الارسطالية في كتاب الحيوان للجاحظ ، والمقارنة بينها وبين نظائرها في الاصل اليوناني كما ترجمه الى الفرنسية سانتيلير ، من تصحيح بعض ما وقع فيها من تحريف او تصحيف او خطأ . (٢)

على أن الامر في أسلوب التحقيق وادواته مرتبط بعد ذلك بالنص من حيث موضوعه وصورته ، وما يتطلبانه ويشيران به ، وهو أمر لا يكاد يقف في تفصيلاته عند حد .

وبعد ذلك لا ينبغي أن نغفل ، في هذا السياق ، الاشارة الى بعض الامور المكملة لتحقيق النص ، والتي تهدف الى ازالة غبار القرون عنه ، بتجليته وتوضيح ملامحه وابراز معالمه ، والى تيسير استخدامه والرجوع اليه في وجوه الدراسة المختلفة ، وذلك مثل تخريج النصوص، وشرح الالفاظ الاصطلاحية ، وخاصة ما يردمنها في كتب التراث العلمي ، والاحالة الى مراجعها ، وبيان ما يمكن ان يقابلها في المصطلح الحديث ، وفهرستها ، الى غير ذلك من أنواع الفهارس .

• • •

واذا كان الاسلوب المتبع غالبا الآن في تحقيق النصوص ونشرها ، من ناحية استقصاء النسخ المخطوطة واثبات قراءاتها واختلافاتها في هوامش الصفحات ، واستخدام الرموز المصطلح عليها في ذلك ، يرجع في جملته الى الاسلوب الذي اتبعه محققو التراث اليوناني واللاتيني ، واخذ به عنهم المستشرقون فيما حققوه من التراث العربي ، واذا كان محققونا الاقدمون لم يكن لهم هذا الاسلوب ، فان الامر لا يعدو ـ في حقيقته أن يكون اختلافا في الاسلوب فقط ، مع الاتفاق في الاصل ، وهو رعاية حق النص والدقة في تحرى صحته ، بكل ما يتضمن ذلك من حرص على ذكر الروايات المختلفة والقراءات الواقعة والمحتملة ، ومن التعريف بالنسخ المنقولة والمنقول عنها ، والاشادة بنسخة المؤلف او النسخة التي قرئت عليه واجازها ، والاجازات التي يمنحها الشيخ لتلاميذه باقراء ما قرأوه عليه ، ومقالاتهم بذلك . فذلك امر بلغ فيه المسلمون الغاية او شارفوها. وان ماسنه علماء الحديث من اصول ومبادىء وآداب ، وما دونوه من دراسات في كتابة الحديث وضبطه ، وفي مقابلة أصوله ، وماوضعوا في ذلك من قواعد ، وما اصطلحوا عليه من سمات دالة وعلامات هادفة ، الى غير ذلك مما افاضت فيه كتب آداب الاملاء والاستملاء وعلوم الحديث عامة ، وقد تجاوز حدود الحديث الى التدوين في فنون العلم المختلفة ، مما يدل دلالة واضحة على مبلغ ما كان اسلافنا يقدرون به حق النص ، والدقة في ادائه .

---

(٢) مجلة كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، المجلد السادس والسابع ، (١٩٥٣) والمجلد الثامن (١٩٥٤) ، ومجلة مجمع اللغة العربية ، المجلد التاسع والعشرون والمجلد الثاني والثلاثون .

وقد كان من الطبيعي ان يتخذ الاوروبيون فيما اتجه اليه مستشرقوهم وعنوا به من تحقيق التراث العربي الاسلوب الذي اصطنعوه في تحقيق التراث اليوناني واللاتيني ، فالغاية واحدة . والتراث العربي كان يمثل لهم عنصرا من عناصر حركة الاحياء التي تمثلت في احياء الآثار العقلية الاولى . فهذا التراث كان من اسبابهم الى تراثهم اليوناني ، فعن ابن رشد وابن سيناء والخوارزمي وغيرهم من علماء المسلمين عرفوا ارسطو وابقراط وبطليموس . وبالكتب العربية التي كانت عماد درسهم وقوام ثقافتهم في ابان تلك الحركة ، ككتب الكندي والفارابي وابن الهيثم والغزالي ، استطاعوا ان يتصلوا بتراثهم اليوناني .

واحسب ان حركة نشر الكتب العربية التي بدات عند الاوروبيين بعد اختراع المطبعة انما كانت لونا من الوان الاستجابة لهذه الحاجة العقلية ، اذ نجد بين ما نشر هناك في القرن السادس عشر كتاب النجاة وكتاب القانون في الطب لابن سينا ، **وتحرير اصول الهندسة لاقليدس** ، لنصير الدين الطوسي ، وقد طبعت في روما . ثم تمضي هذه الحركة قدما ، وتنتشر هنا وهناك ، فتتخذ لها مراكز مختلفة في انحاء العالم الاوروبي : في ليدن وامستردام ولاهاي واكسفورد ولندن وكمبردج وباريس ومدريد وروستك وهاله وفينا ، وغيرها من المدن الاوروبية ، وقد كان تحقيق كتب التراث العربي من اول ما عنيت به ، فتناولته من اطرافه المختلفة : تاريخية وجغرافية وفلكية وفلسفية وادبية . بل انها امتدت الى كتب النحو العربي، فكان من اوائل ما طبع في روما كتاب الكافية للعالم المصري ، جمال الدين بن الحاجب .

ومن اجل هذه الغاية انشئت **جمعيات الاستشراق** ، كجمعية المستشرقين الالمان ، والجمعية الاسيوية الملكية الانجليزية ، والجمعية الاسيوية الفرنسية ، واتخذت لها مراكز مختلفة تتوفر فيها اسباب التحقيق . كباريس وليدن، وكاتخاذ استانبول مركزا من مراكزها ، لمكان استانبول من التراث العربي ، وعنها صدرت المجموعة التي عنيت بتحقيقها ونشرها بعنوان : النشريات الاسلامية .

وفي ظلال هذه الحركة نشا كثير من المستشرقين الذين وجهوا كثيرا من عنايتهم ان لم يكن جلها ، الى نشر التراث نشرا محققا في حدود القواعد المتبعة عندهم ، مثل كاردون الفرنسي الذي نشر في منتصف القرن الثامن عشر شذرات من كتاب **السلوك للمقريزي** ، باعتبارها وثيقة من وثائق تاريخ لويس التاسع ،على ان اكثرهم ، فيما اعلم ، جعل تحقيق هذا التراث ونشره غاية في ذاته ، لا من حيث كونه مرتبطا بما يعالج من بحث . ومن ذلك نرى رجلا مثل (دي ساسي) الذي عاش في القرن الثامن عشر والتاسع عشر ينشر من كتب الادب كليلة ودمنة ومقامات الحريري ، ومن كتب الرحلات رحلة عبد اللطيف البغدادي ، ومن كتب النحو الفية ابن مالك ، كما نجد معاصره (كوسان دي برسيفال) ينشر من كتب الادب شرح الزوزني لمعلقة امرىء القيس ، ومن كتب الفلك الزيج الكبير الحاكمي لابن يونس ، والصور السماوية للصوفي . وكذلك كانت عناية من جاء بعدهما من تلاميذهما بالتراث العربي ، مثل كاترمير ،

ودي ســلان ، الفرنســيين ، وكوزيجارتن الالمانى، ودى جويه الهولندى الذى نشر من كتب الادب ديوان مسلم بن الوليد ، ونشر من كتب التاريخ فتوح البلدان للبلاذرى ، وتاريخ الامم والملوك للطبرى ، كما عنى بنشر مكتبة الجغرافيين العرب . وفلوجل الذى نشر فهرست ابن النديم ، وكشف الظنون للحاج خليفة ، وادى بهما اجل خدمة لمحققى التراث والباحثين عنه .

وليس بنا فى هذا الفصل ان نســتقصى حركة تحقيق التراث العربى عند المستشرقين ، او نتبين وجوهها . فانما اردنا بما ذكرنا من ذلك ان ندل على هــذه المرحلة من مراحــل تحقيق التراث ، وان نتبين منشأها الذى صدرت عنه ، ومنهجها الذى اخذت به ، وطابعها الغالب عليها ، وصلتها بما جاء بعدها من مراحل تحقيق التراث واتجاهاته فى البلاد الاســلامية .

ولعل اول هذه البلاد التى عنيت بالتراث العربى مســتخدمة الطباعة ، ثم لم تلبث فيمــا اتجهت اليــه مــن ذلك أن اتصلت بالحــركة الاســتشراقية ، وتأثرت بطبيعة الحال بهــا ، هى بلاد الهنــد .

وكان أول ذلك هو انشاء المطبعة العربيــة فى كبرى المدن الهندية : دهلى وكلكوتا وبمباى وعن هذه المــدن التى لم تلبث أن أصبحت من مراكز الثقافة العربية ، صدرت مجموعة ضخمة من كتب التراث العربى الاسلامى ، لعل باكورتها كان (تفسير الجلالين) الذى صــدر عن دهلى فى اواخر القرن الثامن عشر ، ســنة ١٧٩٦ .

ثم كان مما اتيح لها أن نشــأت بينها وبين حركة تحقيق التراث العربى فى اوروبا بعض الصلات ، فى ابان النفوذ الذى كانت تمارســه فى الهند (شركة الهند الشرقية) ، وكان بعض صور نشاط هذه الشركة يدعوها الى اســتخدام بعض المســتشرقين ، وكان من ذلك أن بعثت الى الهنــد فى أواخر القرن الثامن عشر المســتشرق الانجليزى ماثيو لمســدن ، وكان مما عهد اليــه أن يتولاه فيها تنظيم مطبعة كلكوتا ، ومنــذ ذلك الحين جعل يمارس نشاطه فى تحقيق التراث العربى ، فصــدر عن هذه المطبعة القاموس المحيط للفيروزبادى ، ومقامات الحريرى ، وغــيرهما . ويخلف لمســدن فى ادارة مطبعة كلكوتا مســتشرق ايرلندى ، كان جاء الى الهند جنديا فى الجيش البريطانى ، واهلته ثقافته الرفيعة واتجاهه الى الاســتشراق ان يتولى ذلك المنصب ، وهو وليم ناســوليس ، فمضى فى الطريق الذى سبقه اليه ســلفه ، مشاركا بعض علماء الهند فى تحقيق ما كانوا متجهين الى تحقيقه ونشره من كتب التراث العربى الاســلامى : كالمولوى عبد الحق غلام قادر ، والمولوى كبير الدين ، فى مثل تفسير الكشاف للزمخشرى ، وتاريخ الخلفاء للســيوطى ، ونخبة الفكر فى مصطلح اهل الاثر لابن حجر .

ولم ينحصر نشاط المســتشرقين فى الهنــد فى هذه الفترة فى ابناء الجزيرة البريطانية ، فقد رأينا شركة الهند الشرقية تبعث اليها فى النصف الاول من القرن التاســع عشر برجل نمســوى من اهل التيرول ، كان قد درس الاســتشراق ثم اســتطاع ان يكون بعد ذلك طبيبا ، وبهذه

الصفة بعث اليها . ولكنه لم يكد يبلغها حتى انصرف الى دراساته الاستشراقية . وأقبل على التراث العربي الاسلامي مع بعض من متصلته بهم من علماء الهند ، مثل سديد الدين خان ، والولوى بشير ، ومولى غلام قادر ، يحقق وينشر منه بعض الكتب التي كانت موضع اهتمام خاص في الهند ، كالاتقان في علوم القرآن للسيوطي ، والاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ، وفهرست كتب الشيعة لمحمد بن حسن الطوسي ، ذلك هو سبرنجر التيرولي .

واستمرت صلة المستشرقين بحركة تحقيق التراث العربي في الهند ونشره ، مقيمين بها ، او بعيدين عنها ، حتى لنجد مثلا ان كتاب المغازي لابي عبدالله الواقدي الذي حققه المستشرق النمسوي فون كريمر ، صدر من كلكته في الهند سنة ١٨٥٥ ، كما نجد مستشرقا اخر المانيا يتفق مع دائرة المعارف العثمانية في حيدر اباد على أن يتولى تحقيق بعض المخطوطات العربية والتعليق عليها ، فأتيح لهمن ذلك جملة غير صغيرة ، كالجمهرة لابن دريد ، والدرر الكامنة لابن حجر ، ومعاني الشعر لابن قتيبة ، وهو فريتس كرنكو .

وجملة القول في هذه الحركة في الهند انه اتيح لها من حماسة اهل البلاد وصدق عزيمتهم ، ومن اتصالهم بكثير من المستشرقين ، مقيمين بينهم ، او ملمين بهم ، او مراسلين لهم ، ما جعلها تمضي في طريقها سديدة الخطى ، شديدة النشاط . وقد جعلت الكتب العربية الاسلامية تصدر تباعا عن دائرة المعارف العثمانية ، بحيدر اباد الدكن ، ومعهد الدراسات الاسلامية ، بجامعة عليكرة ، وما اليهما . ونشأت ناشئة من علماء الهند تمرست بالتحقيق ، ومهرت فيه ، ونفذت في دقائقه ، مع اخلاص للعلم شديد ، واصبحت بذلك موضع الثقة في البيئات العلمية ، يمكن أن تتمثلهم في شيخهم عبد العزيز الميمني الراجكوني ، محقق اللآلىء لابي عبيد البكري وغيره ، ومحمد بدر الدين العلوي ، محقق شرح المختار من شعر بشار ، لابي الطاهر التجيبي ، وعبد الرحمن بن يحيى المعلمي ، محقق كتاب الانساب للسمعاني ، والاكمال لابن ماكولا ، الى كثير غيرهم ليس شأن هذا الفصل أن تستقصيهم .

وهكذا نرى ان امر التراث العربي في الهند لم يكد يبدأ باستخدام المطبعة حتى وجد من المستشرقين من حفوا به ، وشاركوا في اخراجه . واحسب انهم طبقوا عليه ما عرف عندهم من اساليب التحقيق .

وثاني البلاد الاسلامية التي اتيح لها استخدام المطبعة في اخراج التراث العربي هي تركيا . وكانت تركيا ـ منذ آل اليها لقب الخلافة ، وسيطرت على اكثر الاقطار العربية ـ حريصة على ان يؤول اليها ما لهذه الاقطار من مظاهر حضارية ، وان تصبح في المقدمة من مراكز الثقافة الاسلامية ، وهي الثقافة التي تتمثل أول ما تتمثل في التراث العربي ، وبهذا الحرص وبالعاطفة الدينية المسيطرة على نفوس بنيها لم تلبث ان اصبحت من اهم مراكز هذا التراث ، انتقل اليها بعضه من هذه الاقطار التي سيطرت عليها ، وعلى سلاطينها وامرائها وسراتها به ، يتكثرون منه ، ويتقربون الى الله الى الخزائن ينشئونها له .

واذا كان أول ما نعرف من استخدام المطبعة في نشر كتب التراث العربي في الهند هو في أواخر القرن الثامن عشر (سنة ١٧٩٦) ، فان أول ما نعرف من ذلك في تركيا كان في أوائل القرن التاسع عشر (سنة ١٨١٩) بطبع كتاب الكافية لابن الحاجب . ثم توالى بعد ذلك ظهور الكتب المطبوعة فيها ، وصدورها عنها . وبدوانه اقتصر في اخراجها على طبعها . واكبر الظن انها قد حظيت بغير قليل من الدقة في مراجعة نصوصها وتصحيحها ، ولكن لم يؤخذ في ذلك بشيء من أساليب التحقيق العلمي الحديث .

واخرى ان حركة اخراج كتب التراث العربي بطبعها في تركيا لم تكد تعنى منها الا بكتب المتأخرين التي كانت ـ فيما يبدو ـ الكتب التي يعتمد عليها طلاب الدراسات الاسلامية في مراحلها الاخيرة، ككتاب الكافية الذي اشرنا اليه، وحاشية السيالكوتي على شرح السعد للعقائد النسفية ، وشرح المواقف لعضد الدين الايجي في الكلام ، وشرح المقاصد لسعد الدين التفتازاني في الاصول . أما كتب الادب فيبدو انها لم تجد العناية بها هنالك الا في وقت متأخر ، وخاصة بعد أن انشأ احمد فارس الشدياق جريدة الجوائب في القسطنطينية ، فصدر عن مطبعتها كتاب الموازنة بين الطائيين للآمدي ، سنة ١٢٨٧ هـ (١٨٧٠م) وديوان البحتري ، سنة ١٣٠٠ هـ (١٨٨٣ م) وكتاب نثار الازهار لابن منظور ، سنة ١٢٩٨ هـ (١٨٨١ م) .

حتى اذا اتجهت جمعية المستشرقين الالمان اليها ، فاتخذت في استانبول مركزا لها ، وقام على هذا المركز المستشرق ريتر ، فقد اتخذ تحقيق التراث العربي فيها صورته العلمية الحديثة المعهودة عند المستشرقين ؛ فيما صدر فيها عن ذلك المركز من كتب ذلك التراث، ككتاب مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين للاشعري ، وكتاب فرق الشيعة للنوبختي وكتاب الوافي بالوفيات للصفدي ، وكتاب اسرار البلاغة للجرجاني .

كما عنيت بعد ذلك جامعة استانبول وجامعة انقرة بتحقيق التراث العربي ؛ فصدرت من المعهد الشرقي في جامعة استانبول بعض الكتب التي عني بتحقيقها علميا بعض العلماء العرب كمحمد بن تاويت الطنجي ، ومن ذلك كتاب المكافأة عند المذاكرة للطيالسي . ومن كلية الالهيات بجامعة انقرة كتاب شفاء السائل لتهذيب المسائل ، الى غير ذلك من الكتب التي توفر على تحقيقها محمد بن تاويت منذ اتخذ من تركيا موطنا علميا له ؛ وبعض علماء الترك الذين اتجهوا هذه الوجهة ، كابراهيم آكاه جوبوقجي وحسين آتاي .

• • •

واذ عرضنا للهند وتركيا من البلاد الاسلامية غير العربية ، وشأن التراث العربي فيهما ونصيبهما في تحقيقه ، فعلينا ان نذكر ثالثة هذين البلدين ، وهي ايران .

وايران ، منذ القرن الرابع للهجرة ،كانت من اهم مواطن الكتاب العربي ، وذلك منذ تم لها أن تكون من أهم مراكز الثقافة العربية ،على الرغم من تيقظ مشاعر القومية الفارسية

بها ، فقد اصبح الامراء والسراة يتنافسون بها فيما بينهم على اسباغ الطابع الادبي العربي على مجالسهم ، وعلى ان تكون لهم خزائنهم التي تضم نفائس الكتب وذخائرها في شتى صنوف المعرفة ، وان يكون لهذه الخزائن امناؤها ونساخوها ووراقوها ، كما كانوا يتنافسون في ذلك ببغداد مقر الخلافة العباسية . وقد ازدهرت مدن فارس وخراسان واذربيجان وما اليها من الاقاليم الايرانية بالعلماء الذين كانت العربية لغتهم – سواء كانوا من اصل عربي ام من اصل فارسي – فيما يؤلفون من كتب ، وما يلقون في حلقاتهم من دروس ، كما كانت لهم ايضا خزائن كتبهم ، يغالون بها ويحرصون عليها . والى جانب هؤلاء واولئك من كان يرى في انشاء المكتبات وامدادها لطلاب العلم وتحبيسها ورصد الاموال الموقوفة عليها قربة من اجل القربات .

ولعلنا نستطيع ان نتمثل صورة من المنزلة التي بلغتها العناية بانشاء خزائن الكتب العربية في ايران في القرن السابع للهجرة ، فيما ذكر من ذلك ياقوت الحموي ، في سياق الرسالة التي وجهها الى جمال الدين القفطي ، عقب عودته من رحلته الى بلاد المشرق ، اذ يذكر فيما قص من شأن هذه المرحلة مقامة في مرو الشاهجان ، وانه « وجد بها من كتب العلوم والآداب ، وصحائف اولي الافهام والالباب ، ما شغله عن الاهل والوطن ، والهاه عن كل صفي وسكن ، لظفر منها بضالته المنشودة ، وبغية نفسه المفقودة ، فاقبل عليها اقبال النهم الحريص ، وقابلها بما لا يزمع معها عنه محيص ، فجعل يرتع في حدائقها ، ويستمتع بحسن خلقها وخلائقها ، ويسرح طرفه في طرفها ، ويتلذذ بميسوطها وتنفها ، واعتقد المقام بذلك الجناب ، الى ان يجاور التراب (٤) » .

وتكتمل هذه الصورة ، وتتضح ملامحها بما يذكره في موضع آخر ، في حديثه عن « مرو » وما يعتبره من خصائصها ، اذ يذكر من ذلك « كثرة الكتب الاصول المتقنة بها » ، ويعقب على ذلك بقوله : « فاني فارقتها وفيها عشر خزائن للوقف لم ار في الدنيا مثلها كثرة وجودة ، منها خزانتان في الجامع ، احداهما يقال لها العزيزية ، وقفها رجل يقال له عزيز الدين ابو بكر عتيق الزنجاني ، او عتيق بن ابي بكر . وكان فقاعيا للسلطان سنجر ، وكان في اول امره يبيع الفاكهة والريحان بسوق مرو ، ثم صار شرابيا له ، وكان ذا مكانة منه ، وكان فيها اثنا عشر الف مجلد او ما يقاربها . والاخرى يقال لها الكمالية ، لا ادري الى من تنسب . وبها خزانة شرف الملك المستوفي ، ابي سعد محمد بن منصور ، في مدرسته ، ومات المستوفي هذا سنة ٤٩٤ . وكان حنفي المذهب . وخزانة نظام الملك الحسن بن اسحاق ، في مدرسته .

وخزانتان للسمعانيين . وخزانة اخرى في المدرسة العميدية . وخزانة لمجد الملك ، احد الوزراء المتأخرين بها . والخزائن الخاتونية ، في مدرستها . والضميرية في خانكاه هناك .

---

(٤) الانباه على انباه النحاة ، القفطي ، ٤ : ٨٦ – ٨٧ ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٣

وكانت سهلة التناول لا يفارق منزلى منها مائتا مجلد ، واكثره بغير رهن ، تكون قيمتها مائتى دينار . فكنت ارتع فيها ، واقتبس من فوائدها . وانسانى حبها كل بلد ، والهانى عن الأهل والولد . واكثر فوائد هذا الكتاب وغيره مما جمعته فهو من تلك الخزائن (٥) » .

وغاية ما يدل عليه انبهار ياقوت بهذه الصورة التى رآها فى مرو ، فى شرقى خراسان ، انها صورة رائعة قليلة النظير فيما اتيح له ان يشهد فيما مر به من بلاد المشرق ، لا انها انفردت بها . أما مادون ذلك فلابد انه كان ـ لما قدمنا من اسباب وملابسات ـ أمرا شائعا فى مختلف المدن الايرانية .

ومهما يكن من شأن ما حل بكثير من هذه المدن من اغارة جحافل المغول عليها ، وطمسهم كثيرا من معالمها ، فلا ريب عندنا فى انها استطاعت على الرغم ـ من ذلك ـ الاحتفاظ بقدر غير قليل من التراث العربى ، مشتت بين ارجائها الفسيحة المتباعدة ، كما احتفظت بالثقافة العربية ممثلة فى كثير من علمائها وادبائها ، وبعض العلماء العراقيين الذين ابقى المغول عليهم ، فسيروهم اليها ، واقاموهم بها ، كالذى نعرفه من شأن نصير الدين الطوسى الذى ما ان بلغ اذربيجان حتى انشأ فى مدينة (مراغة) الرصد المنسوب اليه ، وانشأ الى جواره مدرسة وخزانة كتب تضم نحوا من اربعمائة الف مجلد . وكما نعرف ايضا من شأن صاحبه كما الدين بن الفوطى الذى كان قيم هذه الخزانة زهاء عشرة اعوام . ويقول السيد محمد رضا الشبيبى فى كتابه عنه : « وكان مؤرخنا المذكور بحكم عمله فى المكتبة خبير الايجار بشؤونها ، طالما تحدث عنها فى معجمه » (٦) « ومن جملة محتوياتها النادرة والمصنفات القيمة والكتب المصورة التى اهديت اليها ، او الى سلاطين المغول . وكثير من هذه النسخ المختارة بخطوط مؤلفيها ، او بخطوط مشاهير النساخ والخطاطين والوارقين ثم يقول : « ولا نشك كذلك ان هذه التحف نقلت ، فيما نقل من كتب هذه المكتبة الى « تبريز » (٧) . وقد كانت تبريز مركزا من اهم مراكز الثقافة العربية فى ايران ، قبل الزحف المغولى وبعده . وفيها ـ كما يرى السيد الشبيبى ـ كتب ابن الفوطى كثيرا من كتبه .

وبعد ان استقر المغول فى المشرق وتحول كثير منهم الى الاسلام ، تحول كثير من علماء بغداد والعراق عامة الى ايران ، يمارسون فيها نشاطهم ، على الرغم مما منيت به . فكان لذلك اثره فى استعادتها شيئا من نضرتها . والا تكن الدراسات العربية عادت فيها سيرتها ، فان ارتباط العربية بالاسلام ابقى بصورة ما على هذه الدراسات ، كما اسبغ عليها من القداسة ما أعاد للتراث العربى قدره وخطره ، على الرغم من تضايق المكان الذى بقى للعربية هنالك .

---

(٥) معجم البلدان ٨ : ٣٥ ـ ٣٦ ، مطبعة السعادة بالقاهرة ، ١٩٠٦ .

(٦) يقصد كتاب (مجمع الآداب فى معجم الاسماء والالقاب)

(٧) مؤرخ العراق ابن الفوطى (٢ : ٢١٤ من مطبوعات المجمع العلمى العراقى) سنة ١٩٥٠) .

وعن هذه الصلة الوثيقة التى لا انفصام لها بين الاسلام والعربية ، والقداسة التى اسبغت على العربية من هذه الصلة ، ومن كون التراث العربى أصبح جزءا من تراث الامة الايرانية ، وعنصرا من أهم عناصر شخصيتها ، بقى لهذا التراث مكانه منها ، واستمر تعلقها به وحرصها عليه ومغالاتها به ، كما يمكن ان تتمثل هذا فى الفصل الذى كتبه الدكتور حسين على محفوظ منذ عشرين عاما ، وكان قد أتيح له أن يقيم فى ايران خمس سنين ، مكبا على الدراسة والبحث والتنقيب ، وقد قرر فى هذا الفصل أنها لا تزال عامرة بكثير من خزائن الكتب الحافلة بالمخطوطات النادرة ، والنفائس المذخورة ، والاسفار القيمة » ، و « أن فى مشهد وقم واصفهان وشيراز وطهران وتبريز وزنجان والاهواز خزائن لا يسعها الاحصاء » وان نفائس بعض الخزائن التى ذكرها لا يحيط به الوهم . « هذا عن الخزائن الخصوصية التى لم يتح لى الاطلاع عليها ، وانما يحتاج كل منها الى فهرس مفرد ربما بلغت عدة اسامى نوادره فقط أضعاف أضعاف هذا البحث ، بالاوصاف والشروح(٨) » .

ومن هذا التاريخ الحافل والحاضر الزاخر للتراث العربى فى ايران ما يزال يراودنا ويلح علينا خاطر له من كل ذلك ما يبرره ، وهو ان قدرا غير قليل من التراث العربى الذى لم يكشف عنه بعد ، والذى يغلب على ظن الكثير من الدارسين او يسبق الى وهمهم انه ضاع فيما ضاع منها ، لا يزال مستقرا فى خزائن الكتب فى ايران ، ينتظر كشف النقاب عنها وفهرستها واتاحتها للباحثين والدارسين . ولعل هذا الخاطر الملح كان مما جعلنا نكتب ، فى سياق هذه الدراسة ، هذه الفقرة عن ايران ومكان هذا التراث منها ، وان كانت لم تسهم فى حركة تحقيقه بما يتناسب مع مكانته هذه فيها .

وكما اتخذت العناية بكتب التراث العربى ، فى أوائل هذا العصر ، فى كل من الهند وتركيا ، صورة اخراجها مطبوعة ، كذلك كان الامر فى ايران . فمنذ اتيحت لها المطبعة بادرت باستخدامها فى اخراج بعض الكتب العربية التى يبدو لنا ان كثيرا منها يقع من الحياة الدينية والعقلية والدراسية فيها موقعا خاصا . كأن تكون من الكتب التى كتبها أئمة الشيعة وعلماؤهم ، أو من الكتب الايرانية النسب ، أو الكتب التى يحتاج اليها ويعتمد عليها فى معالجة درس العربية . وقد جعلت هذه الكتب تصدر عن تبريز مرة ، وعن طهران مرة أخرى .

فكان من أول الكتب التى أخرجتها المطبعة الايرانية كتاب **(نهج البلاغة ومشرع الفصاحة)** الذى جمع مادته الشريف الرضى مما أثر من كلام أمير المؤمنين على بن أبى طالب . وقد صدر عن تبريز ، فى منتصف القرن التاسع عشر (سنة ١٨٥١) ، كما صدر بعد ذلك بثلاثة أعوام ، عن طهران ، الشرح الذى كتبه عليه ابن أبى الحديد ، من علماء القرن السابع للهجرة ،

---

(٨) نفائس المخطوطات العربية فى ايران . مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد الثالث ، الجزء الاول (مايو ١٩٥٧) .

ثم شرح كمال الدين بن ميثم البحراني ، من أهل القرن الثامن ، ومن هذا القبيل امالي الشريف المرتضى المعروفة باسم (غرر الفوائد ودرر القلائد في المحاضرات) ولا ريب أن ايران هي صاحبة الفضل الاول في اخراج مثل هذه الكتب التي تمدمن عيون الادب العربي ، مطبوعة .

ومن كتب الادب التي بادرت ايران الى اخراجها مطبوعة ديوان **سقط الزند** لابي العلاء المعري ، بشرح ابي يعقوب يوسف بن طاهر الخوبي ، المسمى بالتنوير . وربما كان مما اتاح لهذا الكتاب ان يصدر عن ايران ، في اوائل العهد بالكتب المطبوعة فيها سنة (١٨٥٩) ، نسبة الايرانى . فخوى التي ينسب اليها ابويعقوب ، صاحب هذا الشرح ، « بلد مشهور من اعمال اذربيجان » ، كما يقول ياقوت . وبذلك سبقت هذه الطبعة طبع مطبعة بولاق له بعشر سنين(٩) .

على أن هناك طائفة من الكتب التي بادرت ايران الى اخراجها مطبوعة ، دون ان يكون لها طابع ايراني خاص ، وانما كانت تتطلبها الدراسات الاسلامية او الادبية أو اللغوية ، مثل كتاب (النهاية في غريب الحديث) ، لمجد الدين بن الاثير ، وقد طبع سنة ١٨٥٣ ، وديوان امرىء القيس بشرح ابي بكر عاصم بن ايوب البطليوسي ، وقد طبع سنة ١٨٦٠ ، قبل ان يطبع للمرة الاولى في مصر بخمس سنوات وكتاب (مغني اللبيب عن كتب الاعاريب) ، لابن هشام .

وطبيعي انه لم يراع في اخراج هذه الكتب في مدى علمي ، اسلوب التحقيق العلمي الحديث ، الى ان انشئت جامعة طهران ، وكان مما عنيت به اخراج بعض الكتب العربية التي يغلب على الظن انه اخذ في تحقيقها بذلك الاسلوب .

• • •

فاذا انتقلنا من البلاد الاسلامية غير العربية الى البلاد الاسلامية العربية ، وجدنا في مقدمتها ، من ناحية العناية باخراج التراث وتحقيقه في هذا العصر ، مصر .

ومبدأ ذلك يرجع الى انشاء المطبعة بها ، ومطبعة بولاق خاصة ، وقد انشئت سنة ١٨٢٢ ، وان كانت مقصورة في سنيها الاولى على طبع ما كان محمد على ، رأس الاسرة الخديوية ، معنيا به من الكتب التعليمية المترجمة الى اللغة العربية ، والمحررات الديوانية ، الى جانب قليل من الكتب العربية التي كانت تستخدم في درس اللغة العربية وبعض العلوم الاسلامية : في المدارس التي انشأها ، وفي حلقات الازهر . ومن ذلك كان اكثرها من كتب المتأخرين أو المعاصرين ، كشرح الاجرومية للشيخ حسن الكفراوي ، من اهل القرن الثامن عشر ، وقد طبع بها سنة ١٨٢٦ او حاشية الطهطاوي ، من اهل القرن الثامن عشر والتاسع عشر ، على الدر المختار شرح

---

(٩) جاء اسم الخوبي في هذه الطبعة ، كما اوردتها فهرست دار الكتب المصرية ، محرفا الى (النحوي) .

تنوير الابصار ، في فقه ابي حنيفة ، وقد طبع سنة ١٨٣٨ ، او كليات ابي البقاء ، ايوب بن موسى ، من اهل القرن السابع عشر ، او شرح الملا على القاري ، من اهل القرن السادس عشر والسابع عشر ، لكتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، للقاضي عياض .

على انا نجد ، في غمرة هذا الطابع الغالب على مطبوعات مطبعة بولاق في سنيها الاولى ، كتابا ككتاب كليلة ودمنة . وقد طبع بها سنة ١٨٣٢ ، وكتاب الف ليلة وليلة ، وقد طبع بها بعد ذلك بعامين . ووكل تصحيح نص كل منهما الى احد العلماء المصححين بها ، وهو الشيخ حسن الصفتي .

ثم لم تلبث كتب التراث العربي ، في فنونه المختلفة ، ان جعلت تصدر تباعا عن مطبعة بولاق هذه والمطابع التي انشئت الى جانبها .

وليس من شاننا في هذا الفصل ان تستقصي هذه الكتب أو تعرف بفنونها ، ولكن الامر الذي تجدر ملاحظته والتنويه به هو أن من بين هذه الكتب مطولات تقع في آلاف الصفحات. كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، لابن حجر العسقلاني ، ويقع في اربعة عشر مجلدا . وارشاد الساري في شرح صحيح البخاري للقسطلاني ، ويقع في عشرة مجلدات ، ومفاتيح الغيب ، لفخر الدين الرازي ، ويقع في ثمانية مجلدات ، ونيل الاوطار للشوكاني في ثمانية مجلدات ايضا ، والاغاني لابي الفرج الاصفهاني في عشرين مجلدا ، ولسان العرب في عشرين مجلدا ايضا ، والمخصص لابن سيدة في سبعة عشر مجلدا .

والامر الثاني هو أن هذه الكتب ، على الرغم من كثرتها وطولها ، لقيت من العناية بتصحيحها والدقة في مراجعتها ، ما جعلها مناط الثقة بصحة النص والاطمئنان اليه . وربما اكتفى في طبع بعضها باختيار ما رؤي انه اصح النسخ ، وتقديمه للمطبعة ، والمقابلة في التصحيح عليه . وقد كان المصححون ، ومصححو مطبعة بولاق خاصة ، من العلماء المختصين المتمرسين ، واصحاب الضمير الديني والعلمي الحي المتحرج ممن كانوا يقصدون بمثل هذا العمل وجه الله وحده . كما سنرى صورة من ذلك فيما بعد . ويمكن ان نخص بالذكر منهم هنا الشيخ « ابو الوفا نصر الهوريني » . وكان من جلة العلماء سعة علم ودقة فهم ، كما يمكن ان يشهد به ما كتبه على القاموس المحيط للفيروزبادي . وكان قد اتيح له ان يتصل بالحياة الاوروبية ، حين بعث الى فرنسا اماما لاحدى البعثات العلمية ، فتعلم الفرنسية ، واتصل بالعلماء الفرنسيين ، فلما عاد وكل اليه منصب رياسة التصحيح بمطبعة بولاق ، فاقبل على عمله بكفاية العالم وخبرة المجرب وضمير الرجل المتدين ، وكتب كتابا يتصل بعمله هذا سماه : (المطالع النصرية في المطابع العصرية) .

ومن الكتب ما كان يخص بمزيد من العناية ، فيوكل امر تصحيحه الى بعض الاعلام المذكورين من رجال العلم ، كما كان شان كتاب المخصص لابن سيده ، اذ اسند تصحيحه الى

شيخ علماء اللغة ومرجعهم في عصره : الشيخ محمد محمود ، ابن التلاميد ، الشنقيطي ، كما نرى ذلك في غير موضع من هوامشه ، وكما يذكره رئيس التصحيح للكتب العربية بدار الطباعة الاميرية ، اى مطبعة بولاق ، في سياق حديثه من قصة طبعه ، والاسلوب الذى اتبع في تحقيق نصه ، وهو حديث ينبغي ان نقف عنده ، ونتأمل دلالته فيما نحن بصدده .

فبعد ان يذكر ان الذى قام بطبع هذا الكتاب وتعميم نفعه جمعية خيرية من فضلاء المصريين وسراتهم ، في مقدمتهم ... الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية ، و ... حسن باشا عاصم رئيس الديوان الخديوى ، و ... عبد الخالق بك ثروت احد اعضاء لجنة المراقبة القضائية بالحقانية ، و ... محمد بك بالاسكندرية ، قال :

« وهو (١) - حفظه الله - كان ذا السبق والنهضة الاولى في تحقيق هذا المشروع الجليل ، فانه بذل همته في استكتاب هذا الكتاب من نسخة عتيقة مغربية ، رأينها بالكتبخانة الخديوية ، وقد ركض فيها البلى ولعب ، واكل منها الزمان وشرب ، حتى ابلى ثوبها القشيب ، واذوى غصنها الرطيب ، ولم تسعد الايام بثانية تعززها بعد البحث والتنقيب .

وبعد كتابة نسخة منها وكل تصحيحها ومقابلتها على اصلها الى حضرة الاستاذ العلامة ، مرجع طلاب اللغة والادب ، الشيخ محمد محمود التركزى الشنقيطى وكان معه في المقابلة صديقنا الفاضل الشيخ عبد الغني محمود ، فبذل في تصحيحها على الاصل من الاعتناء ما استوجب به وافر الجزاء ومزيد الثناء .

ثم قدمت للطبع ، فبذلنا في تصحيح المطبوع غاية المجهود ، وقمنا فيه ، ولله الحمد ، المقام المحمود . وكنا نرسل كل ملزمة ، بعد أن نفرغ من تصحيحها ، وقبل طبعها ، الى حضرة الشيخ المفتى حفظه الله . فقرأ من الكتاب عدة ملازم قراءة امعان واتقان ، زاد بها الكتاب حسنا وصحة ، ثم اسند معظم ملازم الكتاب الى نظر الاستاذ الشنقيطي ، فحظى الكتاب من نظره بأن يجددها ، ومجلى حلبتها ، وفارج كربتها . فقام الشيخ بما اسند اليه مضطلعا ، حتى انتهى الكتاب . وكم له فيه من اثر يشهد بفضله ورسوخ قدمه ، ومن آثار ماكتبه على حواشى الكتاب من التعليقات بقلمه ، فجاء الكتاب ، بتوفيق الله ، على ما يرام غاية في الصحة ونهاية في الاحكام . »

ومن هنا نستطيع أن نتمثل مبلغ ما كان يتخذ لاخراج كتاب مثل المخصص من احتفال به واعداد له . منذ تألفت له جمعية من العلماء والسراة ، الى الحرص البالغ على أن يتاح له من اسباب التحقيق اقصى ما يمكن . فقد كان من أول ما اتجه القوم اليه وحرصوا عليه ،

---

(١) اى محمد البخارى ، احد الشخصيات التي لم تنل ما هي جديرة به من الدرس ، وصاحب قاموس البخاري، اوسع المعجمات الفرنسية العربية واشملها . توفى سنة ١٩١٤ .

وجدوا في البحث عنه ، الحصول على نسخة اخرى تكون الى جانب النسخة الوحيدة التي ابحث منه ، وان لم يظفروا بذلك ، ثم وكل امر تصحيح النسخة التي استخدمها محمد البخاري ومقابلتها على الاصل الى شيخ اللغويين في عصره محمد محمود الشنقيطي ، واحد شيوخ الازهر الاعلام ، الشيخ عبد الغني محمود ، فاذا مضى الكتاب بعد ذلك الى المطبعة والى مصححيها من العلماء المتمرسين ، فقد جعل اذن الطبع الى الاستاذ الامام ، يوقع به بعد قراءة التجارب قراءة امعان واتقان ، ثم الى الاستاذ الشنقيطي الذي صحب الكتاب في اولى خطوات اعداده . وفي الحواشي المثبوتة في صفحاته ما يدل على ماكان يتسم به من جد ، وما يشهد بيقظته ودقة نظره وسعة معرفته وحفظه .

ومبدا استقصاء نسخ الكتاب موضع التحقيق وتحري مصادره ، نراه قبل كتاب المخصص فيما اتخذ لتحقيق لسان العرب ، وذلك فيما حكاه (خادم تصحيح العلوم بدار الطباعة الزاهية الزاهرة ، ببولاق مصر القاهرة ، الفقير الى الله تعالى محمد الحسيني) في الفصل الذي كتبه عنه وذيله به ، وقص فيه ما كان من شان ناظر هذه المطبعة ، المرحوم حسين باشا حسني ، ازاءه ، وما اتخذه لضمن اسباب التحقيق ، قبل الشروع في طبعه وأثناءه ، اذ يقول :

« ... وجمع لنا ، في تصحيح هذا الكتاب ، الاصول المهمة التي وجه مؤلفه رحمه الله نظره اليها ، وعول في تأليفه عليها ، وهي : المحكم لابي الحسن علي بن سيده الاندلسي ، والتهذيب لابي منصور محمد بن احمد طلحه الازهري اللغوي ، والصحاح للامام ابي نصر اسماعيل بن حماد الجوهري ، ونهاية الغريب في الحديث للامام اللغوي المحدث أبي السعادات مبارك بن ابي الكرم محمد ، المعروف بابن الاثير الجزري ، وغيرها ، كتكملة الصحاح للامام الحسن بن الحسن الصغاني ، الى غير ذلك مما وصلت يدنا اليه ، وعرجنا في التصحيح عليه .

واحضر لنا ايضا من نسخ الكتاب النسخة الجارية في وقف السلطان الاشرف برسباي شعبان ، التي قال السيد مرتضى شارح القاموس انها نسخة المؤلف ، وعول عليها في شرحه للقاموس ، مستمدا منها ، وكتب على كل جزء منها بخطه ما معناه : قد طالعه محمد مرتضى مستمدا منه في شرح القاموس . وكذلك ايضا ذكر صاحب كشف الظنون ما يفيد انها نسخة المؤلف . لكنها قد عبثت بها ايدي الزمان ، فاضاعت ومزقت منها بعض الجثمان . وقد شملتنا عناية الحضرة الفخيمة الخديوية التوفيقية ، ادام الله ايامها ، ورفع على هام الكرام اعلامها ، فأحضرت لنا من الاستانة العلية نسخة الوزير الخطير ، والصدر الاعظم الشهير ، والعالم العلامة النحرير ، راغب باشا صاحب السفينة (١١) عليه سحائب الرحمة ، فاستعنا

---

(١١) هو محمد راغب باشا ، احد ولاة الدولة العثمانية في القرن الثامن عشر ، في مصر والشام ، وصاحب المكتبة المعروفة باسمه في استانبول ، ومؤلف كتاب (سفينة الراغب ودفينة الطالب) المشار اليه . توفي سنة ١٧٦٣ .

بها ونسخ اخرى غيرها ، وباصول الكتاب ايضا،على ما فقد من نسخة الاشرف التى عليها المعتمد بيدنا . وقد تولى تصحيحه بحول الله وقوته،عصابة جهيذية وسادة المعية ... الخ .

فها نحن اولاء نرى هنا منهجا علميـــادقيقا ، شديد الحرص على توفير الادوات التى تمكن للنص ان يكون صورة دقيقة له ، كمـاأداه صاحبه ، من تقصى النسخ المخطوطة ، وتعيين ما يظن انه النسخة الأم ، ومصادرالكتاب التى ينص مؤلفه انه صدر عنها ، الى جانب العناية البالغة بالمقابلة والمقارنة والمراجعةوالتصحيح ، على النحو الذى يؤدى الينا صورة منه هوامش الكتاب ، وما تدل عليه من دقة ويقظة ، ومن ادب علمى ومنهجية فى التعليق تثير الاعجاب ، مع انكار للذات يبعث على الدهشة ، فليس فيها مع ما تضمنته من ذلك ما يشير الى اسم صاحبها ، وانما ينتهى كل تعليق منها بهذه العبارة : « ا هـ . كتبـــه مصححه » .

ولا تقف هــــذه التعليقات عند مقابلة النسخ ، او ايراد ما جاء فى اصـول اللسان ، وتحرير النص بها ، وقد يكون مبتورا فيستكمل ، او محرفا فيصحح ، مع مراجعة المخطوط على ما طبع ، بل تمضى بعد ذلك فى مراجعة مايقتضيه التحقيق من كتب الادب والتاريخ واللغة والتفسير والبلدان والعروض ، ما دعت الحاجـــة الى مراجعتهـــا ، كأساس البلاغـــة للزمخشرى ، والقاموس للفيروزبادى ، وشرحــــه المرتضى الزبيدى ، وكتاب سيبويه ، ومعجم البلدان لياقوت الى غير ذلك .

بل ربما جاء النص فى غير موضع من الكتاب ، فلا يغفل المصحح عن ذلك ولا يفوته التنبيه اليه ، وقد يجيء مختلفا ، فلا يفوته التنبيه على ما يرى انه الصحيح ، كما نرى ذلك فى غير موضـــع . (من ذلك ما جاء فى حواشي الجزء التاسع ، فى مادة (نوط) ، ومـــادة (وسط) ومـــادة (غرنط) ، فى الصفحات ٢٩٦ ، ٣٠٨ ، ٣٢٨) .

وقد يتوقف المصحح احيانا عند نص لا يتضح له وجهه . ولم يتح له ما يوجهه به ، او مصححه عليه ، فيضع فى الهامش بازائه هــذه العبارة : « كذا بالاصل ، وحرره »

كما يقترح احيانا تصحيح النص على اكثر من وجه . (كما ترى ذلك فى مادة « ارط ») ومن صورة الدقة التى اتسم بها عمل المصحـح فى هذا الكتاب ان يورد صاحبه حديثا ، فيظن انه صدر به عن النهاية فى غريب الحديث لابن الاثير ، اذ كان من مصادره التى نص هو عليها . فلا يفوت المصحح ان يلتمسه فيه ، فاذا لم يجده نص على ذلك . (كما ترى ذلك) مثلا فى مادة « نجز ») .

واذا كانت أوضاع هذه التعليقات أو الحواشي تختلف فى صورتها عن المألوف المتعارف عليه ، اذ جاءت فى الهامش الجانبي ، وبدون ارقام فى الاعم الاغلب ، على ما كان متعارفا عليه فى كتب الحواشى والتقارير ، فان ذلك لا يغير من منهجيتها ، وليت الذين اعادوا طبع اللسان جعلوها بحيث تتفق مع ما تواضعنا عليه ، وليتهم اضافوا اليها التصحيحات التى دونهـا احمد تيمور واخرجهـا فى كتاب ،

والتصحيحات التي نشرها عبد السلام هارون ،ثم قدموا له بما يدل على الجهود المختلفة التى بذلت في اخراجه وتحقيق نصه .

ومهما يكن من امر فان هذين الكتابين :لسان العرب والمخصص ، اللذين حققا وطبعا فيما بين سنة ١٨٨٢ وسنة ١٩٠٤ يمثلان مرحلة جديدة في تحقيق التراث في مصر ، في العصر الحديث ، اخذت بشروط التحقيق العلمي ومبادئه ، وبلغتهمن ذلك مبلغا جديرا بالتنويه ، وان اخلت ببعض الاوضاع الشكلية في النشر العلمي .

وفي سياق هذا الحديث الذي نود ان نؤرخ به لتحقيق التراث وما هو بسبيله في مصر ، ونرجو ان نتبين به شيئا من مراحله ووجوهه ، ينبغي الا نغفل الاشارة الى حدث من الاحداث صدر عن ذلك الاتجاه ، وهو تكوين **(جمعية المعارف)** التي انشأها سنة ١٨٦٨ محمد عارف باشا ، وضمت عددا غير قليل من علماء مصر وسراتها ، وكان من اهدافها المشاركة في احياء التراث العربي ، فتولت « طبع طائفة من امهات الكتب في التاريخ والفقه والادب » كما يقول عبد الرحمن الرافعي في الفصل الذي كتبه عنها ، واورد فيه اسماء بعض هذه الكتب كما ذكر فيما تحدث به عنها انه كان لها مطبعتها الخاصة بها ، الى جانب استخدامها مطبعة بولاق وبعض المطابع الاهلية ، كالمطبعة الوهبية . (١٢)

ولا نحسب ان ما طبعته هذه الجمعية كان يعنى باكثر من تحري صحة العبارة وتقويم النص ، فلم يكن المنهج العلمي الحديث في التحقيق قد فرض نفسه بعد ، على الصورة التى رأيناها في نشر لسان العرب والمخصص ، بعد ان حلت هذه الجمعية ببضعة عشر عاما .

● ● ●

وفي الوقت الذى كانت اجزاء لسان العرب تظهر فيه ، ويتلقفها القراء ، كانت هنالك ناشئة من الشبان ، اتصلوا بالثقافة الاوروبية واعجبوا بها ، بقدر حرصهم على شخصيتهم العربية بجميع عناصرها ومقوماتها . وكان من هؤلاء الشاب (احمد زكي) ، الذى عرف فيما بعد **بلقب شيخ العروبة . وكان منذ نشأته الاولى مشغوفا بالادبين العربي والفرنسي ، مراوحا** نشاطه بينهما ، مما رشحه ليكون عضو الوفد المصري في مؤتمر المستشرقين الذى انعقد في لندن سنة ١٨٩٢ ، وهو في الخامسة والعشرين من عمره ، ثم ما بعد ذلك من مؤتمرات ، مما وثق صلته بائمة المستشرقين ، ودققه على منهجهم في تحقيق التراث العربي ونشره ، كما اتاحت له مثل ذلك عضويته للمجمع العلمي المصري .

وكان امر ذلك التراث والتفكير في وسائل احيائه ، وفي مظهر ذلك الاحياء ، مما سيطر عليه ، وجعل يداعب احلامه ويغمر احاديثه ، كما ترى ذلك فيما قاله في التصدير الذى قدم به كتاب

---

(١٢) عصر اسماعيل ٢ : ٢٥٦ ــ ٢٥٨ الطبعة الاولى ــ سنة ١٩٣٢ .

الادب الكبير لابن المقفع . وكان ـ بعد كتاب نكت الهميان في نكت العميان ـ من بواكير عمله في تحقيق التراث . وقد طبع بالاسكندرية سنة ١٩١٢ . وذلك اذ يقول في سياق هذا التصدير :

« ما زلت منذ نيف وعشرين عاما وانا انادي ذوي الفضل في بلادي ليتعاونوا على احياء الآداب العربية ، حتى آذن الله بنجاح المسعى وتحقيق المنى ، وفي هذه الايام العباسية السعيدة » .

واذن فقد بدأ احمد زكي باشا الدعوة الى (احياء الآداب العربية) قبل سنة ١٨٩٠ ، في صدر حياته ، وفي ابان صدور لسان العرب ، وقبل بدء صدور المخصص . وهو يعني ، في هذه الفقرة ، بنجاح المسعى موافقة مجلس النظار على مشروعه الذي تقدم به . وقد صرح بهذا في التمهيد الذي كتبه لكتابه من الترقيم ، سنة ١٩١٢ ، اذ يقول :

« . . حتى اذا اشرقت علينا انوار هذا العصر العباسي المجيد ، اخذت في الانتعاش ، خصوصا عندما اقرت الحكومة الخديوية المصرية احياء الآداب العربية . وكان من كمال التوفيق ان اتاح الله الهيمنة على نظارة المعارف العمومية ، والاشراف على احياء الآداب العربية ، سعادة النابغة الفضال احمد حشمت باشا » .

ومنذ جعلت فكرة هذا المشروع تداعب خياله وتراود احلامه ، وهو دائم التفكير فيه والدعوة اليه والاعداد له ، فيما يكتب من ابحاث وما يلقي من احاديث وما يشهد من مجالس ، وفيما يقوم به من رحلات كان يحرص اشد الحرص فيها على تحقيق ما كان همه الاول منها ، وهو ان يزور خزائن الكتب التي تحتفظ بالتراث العربي ، كمكتبة الاسكوريال في اسبانيا ، ومكتبات الاستانة ، يراجع فهارسها ، وينقب في ذخائر مخطوطاتها ، ويعكف عليها قارئا ومصورا ما يروقه منها .

وقد نوه ببعض ذلك في حاشية التصدير الذي كتبه لكتاب التاج المنسوب للجاحظ ، اذ يقول :

« ارى من واجبي ان اذكر بالشكر المعاونة الثمينة التي بذلها لي صديقي الفضال ، نعمة الله افندي البغدادي ، المشتغل بالمحاماة في القسطنطينية ، فقد جعل نفسه وقفا على خدمتي ومساعدتي اثناء اشتغالي في عاصمة الخلافة الاسلامية بجمع المواد التي كانت اساسا لمشروع احياء الآداب العربية » .

حتى اذا وافقت الحكومة على هذا المشروع ، ورصدت له بعض ما يحتاجه من مال ، فقد تقدم بكتاب التاج هذا يستهل به عمله فيه ، وقدم له بمقدمة طويلة مفصلة يحتج فيها لما صح عنده انه للجاحظ ، كما ذيله بطائفة من الفهارس ، واستغرق تحقيقه والتعليق عليه المنهج العلمي الحديث الذي يصطنعه علماء المستشرقين ، في دقة واحكام واحاطة .

واتخذ هذا المشروع من دار الكتب المصرية مركزا له ، اطلق عليه اسم (القسم الادبي) ، وتضمن طائفة من الكتب ، منها ما عني زكي باشا بتحقيقه بنفسه ، ككتاب الاصنام لابن الكلبي ، وتاريخ المقدمة التي كتبها للطبعة الاولى ٣٠ يناير سنة ١٩١٤ ، وكتاب انساب الخيل له ايضا . وهو ، وان لم يصدر عن دار الكتب الا في سنة ١٩٤٦ ، الا انه كان قد طبع قبل اكثر من ثلاثين عاما

من هذا التاريخ، وأرجيء اصداره حتى يتم أعدادهما كان زكي باشا قد اخذ به نفسه ، ليجعله ملحقا له ، وهو معجم باسماء الخيل المشهورة في الجاهلية والاسلام . ولكن بعض العوائق حالت دونه ، وتوفي زكي باشا سنة ١٩٣٤ ، وكالجزء الاول من كتاب (مسالك الابصار في ممالك الامصار) ، لابن فضل الله العمري ، وقد طبع سنة ١٩٢٤ ، وبقي سائره لم ينشر شيء منه ــ فيما أعرف ــ حتى الآن .

وبانشاء (القسم الادبي) في دار الكتب المصرية ، او بانتقاله اليها من مطبعة بولاق ؛ وبهذه البدايات المبشرة ، تطلع الناس الى عهد جديد في تحقيق التراث ونشره، شكلا وموضوعا. ومن ذلك ــ فيما تقدر ــ كان اتجاه السيد علي راتب ، احد سراة القاهرة ووجهائها ، الى دار الكتب المصرية ، سنة ١٩٢٥ ، مقترحا عليها اعادة طبع كتاب الاغاني لابي الفرج ، بعد مراجعته وتصحيحه وضبطه وتفسير مغلقه ، كاملا كما وصفه مصنفه من غير حذف ولا ابدال كما هو نص ما جاء في كتابه الى مدير الدار ، متكفلا بنفقة الطبع .

وكان لتلك الاريحية اثرها في مبادرة القسم الادبي بدار الكتب الى الاستجابة لذلك الاقتراح واعداد العدة لتحقيقه باتخاذ الاسباب المختلفة، كما كان يراها ، لكي يظهر كتاب الاغاني بالصورة الجدير بها ، بريئا من عيوب طبعتيه السابقتين.

وقد تضمن التصدير الذي كتبه رئيس قسم التصحيح بدار الكتب للجزء الاول منه بيانا بما اعدته الدار من ادوات التحقيق ، وبما اتخذته في المقابلة والتصحيح والمراجعة في هذا الجزء . فذكر نسخ الاغاني الموجودة في الدار، مطبوعة ومخطوطة ، معرفا بكل منها ، معينا الرمز الذي اتخذ لها . وجعلها ثماني نسخ ، ثلاث منها مطبوعة ، أولاها الطبعة الاوروبية التي طبعت سنة ١٨٤٠ في جريزفولد ، ثم طبعة بولاق سنة ١٢٨٥ هـ ، ثم طبعة الساسي . كما عقب على ذلك ببيان الكتب التي اعدت ليستعان بها في التصحيح ، وقد وكل امره الى لجنة مؤلفة منه ومن الشيخ محمد الخضر حسين، والشيخ احمد عبد الرحيم ، يليها لجنتان للمراجعة : الاولى مؤلفة من السيد محمد الببلاوي ، وقد وصف في هذا التصدير بانه مراقب احياء الاداب العربية بالدار ، وحافظ ابراهيم واحمد نسيم ، والاخرى للمراجعة الاخيرة مؤلفة من احمد تيمور باشا ، وجعفر والي باشا ، والشيخ محمد الخضري ، والشيخ احمد امين . وقد صدر هذا الجزء سنة ١٩٢٧ .

ومع هذا الحرص على أن تذكر طبعة الساسي ، وهي ليست غير طبعة تجارية ، بين مراجع التصحيح ، لم تعن الدار ولا القائمون على التصحيح فيها باستقصاء نسخ الاغاني الموجودة في المكتبات الاخرى ، او على الاقل ما هو مدون في فهارسها ، واستنساخها وضمها الى النسخ المذكورة في ذلك التصدير ، وكان ذلك من اول ما يجب الاتجاه اليه . وقد وعد مدير الدار في كلمته التي صدر بها الجزء الثاني ببذل « الجهد في استحضار نسخ مما قد يوجد من

هذا الكتاب فى المكتبات الاخرى » . وهى عبارة تدل على ان الدار لم تعن حتى ذلك الوقت بمعرفة ما هو موجود من نسخ الكتاب فى المكتبات الاخرى ، فهو لا يزال عندها امرا محتملا .

ومع هذا فقد ظل الاعتماد فى تحقيق الاغانى على نسخ الدار وحدها ، حتى الجزء الثالث عشر ، الذى صدر سنة ١٩٥٠ . وبعد ثمانى سنوات صدر الجزء الرابع عشر ، بتصدره بيان من الدار يقول انها حصلت اخيرا على اجزاء متفرقة من هذا الكتاب فى مكتبتى ميونخ ولوبيخن . كما اخذت الدار منذ ذلك الجزء بنظام جديد فى التحقيق ، فقد اعفت نفسها منه، ورأت – كما هو نص بيانها – « أن تستعين بنخبة من جهابذة العلماء المتضلعين فى فنون العربية وآدابها وتاريخها ، لانجاز الكتب التى تقوم بتحقيقها واخراجها » . وبذلك وكلت تحقيق كل جزء من اجزاء الاغانى الى احد الاساتذة ، يستقل به ويحمل تبعته . وبذلك ايضا اختفى اسم (القسم الادبى) من صدر الكتاب ، كان لم يعد له وجود بعد فى الدار .

ومنذ الجزء السابع عشر الذى صدر سنة ١٩٧٠ انتقلت الولاية على تحقيق الاغانى واخراجه الى الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر .

● ● ●

وبعد ان اخلى (القسم الادبى) مكانه فى دار الكتب ، بعد ان ابلى بلاء مذكورا ، على الرغم من وجوه التقصير والمآخذ التي اخذت عليه ، فيما تولاه من تحقيق طائفة غير قليلة من كتب التراث ، وما شارك به فى مثل الكتب التى حققها الاستاذ عبد العزيز الميمنى ، فان هذا المكان لم يلبث أن شغله (مركز تحقيق التراث) الذى انشىء بالدار ، ليؤدى ما كان يؤديه القسم الادبى ، بصورة اشمل ، واسلوب علمى ادق ، ومنهج واضح مطرد .

وكان من أول ما اختطه ان يكون – الى جانب مضيه فى الطريق الذى شقه القسم الادبى – مركزا للتحقيق عامة ، يمكن ان يلجأ اليه المحققون ، افرادا وهيئات ، فيما هم بسبيله ، فيسدد خطاهم ، ويقدم اليهم كل ما يعينهم على بلوغ الغاية فيما يحققون .

كما كان من اول ما حرص هذا المركز عليه الا يقف نشاطه عند حدود الآثار الادبية وحدها ، كما كان شأن القسم الادبى ، بل يجعل هذا النشاط ممثلا لصور التراث العربى المختلفة ، ادبية وعلمية . وكأنما لاحظ ان تراثنا العلمى لم يظفر من التحقيق بما هو جدير به ، وبما يمكن ان يجلو صورة الفكر العربى جلاء كافيا ، فكان عليه ان يتلافى هذا التقصير . والى جانب ذلك كان يقدر انه بما يمكن ان يتاح لمه منه يستطيع ان يخدم الجهود المبذولة لتعريب لغة العلم ، ويؤازر مجمع اللغة العربية وغيره من المجامع والهيئات الاخرى فيما يحاوله من وضع مصطلحات عربية بازاء المصطلحات الاوروبية السائدة ، ويصل بذلك ما بين قديم التعبير العلمى وحديثه .

وبذلك اخذ نشاط هذا المركز ، كما خططه واخذ فى تطبيقه ، يتمثل فى مجموعة من الوحدات تعنى كل وحدة منها بجانب من جوانب التراث العربي ، اسلامى ولغوى وأدبى وتاريخى وفلكى وموسيقى وجيولوجى ، الى غير ذلك كعلوم الاوائل المنقولة الى اللغة العربية . ولكل وحدة من هذه الوحدات استاذها المتخصص فى موضوعها ، المتمرس بلغتها واسلوبها ، ومعه معاونوه من الشبان الذين تخصصوا فى هذه الموضوعات في دراستهم الجامعية ، يعيشونه ويتدربون بالعمل معه في تحقيق ما اخذ فى تحقيقه .

ومن اجل توفير ادوات التحقيق وتيسير استخدامها ، عنى المركز من اول يوم بتكوين مكتبتين خاصتين به ، احداهما للفهارس والاخرى للمراجع .

اما المكتبة الاولى فقد اراد ان تضم جميع فهارس الكتب العربية فى مكتبات العالم المختلفة ، عربية واجنبية ، شرقية وغربية ، مرتبة منسقة . وقد جمع فيها كل ما اتيح له منها ، واحسب انه فى سبيل استكماله . وانه مازال ماضيا فيما بدأه من استخراج الفهارس التى نشرت فى بعض الدوريات العلمية ، كمجلة معهد المخطوطات العربية ، ومجلة المجمع العلمى العراقى ، ليضمها اليها ، الى جانب ما شرع فيه ايضا ، وارجو ان يكون ماضيا فى ادائه ، من تفريغ هذه الفهارس فى بطاقات ، وترتيبها من بعد وتصنيفها ، بحيث يستطيع المحقق ، سواء كان من محققى المركز أم من غيرهم ، ان يحيط علما بجميع نسخ الكتاب الذى يحققه ، حين يراجع هذه البطاقات .

واما المكتبة الاخرى فقد اريد بها أن تضم جميع المراجع العامة والكتب الاصول التى يحتاج اليها فى التحقيق . وقد اعدت اعدادا يتفق مع وجوه نشاط المركز فى وحداته المختلفة ، ورتبت ترتيبا يتيح للباحث او المحقق أن يرجع اليها ، ويظفر ببغيته منها ، فى أقرب وقت وايسر جهد .

ولعل ذلك ــ الى جانب كفاية الاساتذة المحققين وايمانهم بعملهم واقبالهم عليه ، واخلاص معاونيهم وتفانيهم ــ كان مما اتاح لهذا المركز ان يصدر في هذه الفترة القصيرة من حياته ، منذ بدأ العمل فيه سنة ١٩٦٩ ، مجموعة لا بأس بها من كتب التراث تمثل وحداته المختلفة ، كما تمثل ، فى جملتها ، مبادىء التحقيق العلمى فى أمثل صوره .

• • •

وبعد ، فليس بنا فى هذا الفصل أن نتتبع تاريخ حركة تحقيق التراث ، نتقصاها ونمضى وراءها فى شتى مواطنها ، وانما نتناول من ذلك ما يتصل بمنهج التحقيق ووجوهه المختلفة ؛ ولعل فيما قدمنا من ذلك ما فيه بلاغ .